الرومي وتقديم قوم كلّها ولاء او بعضهم عليه وذهاب قوم عن المعرفه ليس بامر
يضرّ بنا ولا سبب ويعترض على افهامنا ونحن نعمد الى بعض قصايد البحتري فنتكلم
عليها كما تكلمنا على قصيده امرى القيس ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة و
يستخلص من ست المعرفه سريرة ويعلم كيف تكون الموارنه وكيف يقع المشابهه
والمقاربه ونجعل تلك القصيده التي نذكرها اجود شعره ۝ سمعت الصاحب
اسماعيل بن عباد يقول سمعت ابا الفضل ابن العميد يقول سمعت ابا مسلم الرستمي
يقول سمعت البحترى يذكر انّ اجود شعره قوله اهلاً بذلكم الخيال المقبل ۝
قال وسمعت ابا الفضل ابن العميد يقول اجود شعره هو قوله فى الشيب
زجر له لو كان ينزجر قال وسيئلت عن ذلك فقلت البحترىّ اعرف بشعر نفسه
من غيره فنحن الآن نقول فى هذه القصيده ما يصلح فى مثل هذا **قولــه**

اهلاً بذلكم الخيال المقبل فعل الذى نهواه اولم يفعل
برق سرى في بطن وجرة فاهتدت بسناه اعناق الركاب الضّلّل

البيت الاوّل فى قوله ذلكم الخيال ثقل روح وتطويل وحشو وغيره اصلح له واخف
منه **قول الصنوبرى**

اهلاً بذلك الزور من زور شمس بدت فى فلك الدور

وعذوبه الشعر تذهب بزياده حرف او نقصان حرف فيصير الى الكزازه وتعود د
ملاحته بذلك ملوحه وفصاحته عيّاً وبراعته تكلّفاً وسلاسته تعسّفاً و
ملاسته تلوياً وتعقداً فهذا فصل وفيه شي اخر وهو انّ هذا الخطاب انما يستقيم
مهما خوطب به الخيال حال اقباله فامّا ان يحكى الحال التى كانت وسلفت على هذه
العياده ففيه عهله وفى تركّب الكلام عن هذا المعنى عقده وهو لبراعته وحذقه
فى هذه الصّنعه تعلّق بنحو هذا الكلام ولا ينظر فى عواقبه لانّ ملاحه قوله تفعلى
عن عيون الناظرين فيه بنحو هذه الامور ۝ ثمّ قوله فعل الّذى نهواه اولم يفعل ليست
بكلمه رشيقه ولا لفظه ظريفه وان كانت كساير الكلام فامّا بيته الثانى فهو عظيم
الموقع فى البهجه وبديع الماخذ حسن الرواء انيق المنظر والمسمع يملاء القلب والفهم
ويفرح الخاطر وتسرى بشاشته فى العروق وكان البحترىّ يسمّى نحو هذا الابيات عروق
الذهب وفى نحوه من الخلل مع الديباجه الحسنه والرونق المليح وذلك انه جعل
الخيال كالبرق لاشراقه فى مسراه كما يقال انه يسرى كنسيم الصّبا فيطيّب
ما مرّ به كذلك فضى ما حوله وبنور ما مرّ به وهذا غلوّ فى الصنعه الا انّ ذكره بطن
وجرة حشو وفى ذكره خلل لانّ النور القليل يوثّر فى بطون الارض وما اطمان

منها بن

منها بخلاف ما يوثّر فى غيرها فلم يكن من سبيله ان يربط ذلك ببطن وجرة وتحديده
المكان على الحشو احمد من تحديد امرى القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراه لم يقنع بذكر حدّ حتى حدّه باربعه حدود كانه يريد بيع المنزل
فيخشى ان اخلّ بحدٍّ ان يكون بيعه فاسداً او شرطه باطلاً فهذا باب ثم انما يذكر
الخيال بخفاء الاثر ودقّه المطلب ولطف المسلك وهذا الذى ذكر يضادّ هذا
الوجه ويخالف ما يوضع عليه اصل الباب ولا يجوز ان يقدّر مقدر انّ البحترىّ
قطع الكلام الاوّل وابتدا بذكر برقٍ لمع من ناحيه حبيبه من جهه بطن وجرة
لانّ هذا القطع ان كان فعله كان خارجاً به عن النظم المحمود ولم يكن مبدعاً ثم
كان لا تكون فيه فايدة لانّ كل برقٍ سمل وتكرّر وقع الاهتداء به فى الظلام وكان
لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدّماً وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظٍ
محمودٍ ومعنىً مستلحب غيره مقصودٍ ويعلم بمثله انه طلب العبارات وتعليق
القول بالاشارات وهذا من الشعر الجنس الذى يحلوا لفظه وتقلّ فوايده
كقول القايل

ولمّا قضينا من منىً كل حاجهٍ ومسّح بالاركان من هو ماسح
وشدّت على حدب المهارى رحالنا ولا ينظر الغادى الّذى هو رايح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطى الاباطح

هذه الفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حلوه المجانى والمواقع قليله المعانى والفوايد
فامّا قول البحترىّ **بعد ذلك**

من غادةٍ منعت وتمنع نيلها فلو انّها بذلت لنا لم تبذل
كالبدر غير مخيّلٍ والغصن غير مميّلٍ والدّعص غير مهيل

فالبيت الاوّل على ما تكلّف فيه من المطابقه وتجشّم الصّنعه الفاظه اوفر من
معانيه وكلماته اكثر من فوايده ونعلم انّ القصد وضع العبارات فى مثله ولو قال
هى ممنوعه مانعه كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثمّ هو معنىً متدا ول
مكرّر على كل لسان ۝ وامّا البيت الثانى فانت تعلم انّ التشبيه بالبدر والغصن
والدعص امر منقول متداول ولا فضيله فى التشبيه بنحو ذلك وانما يبقى تشبيهه
ثلثه اشياءٍ بثلثه اشياءٍ فى البيت وهذا ايضاً قريب لانّ المعنى مكرر ويبقى
له بعد ذلك شئ اخر وهو تعلّمه للترصيع فى البيت كلّه الا انّ هذه الاستثنا اتى فيها
ضربٌ من التكلّف لانّ التشبيه بالغصن كافٍ فاذا زاد فقال كالغصن غير معوّج
كان ذلك من باب التكلّف خللاً وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك قوله كالدّ عص

Copyright ... King Saud University